جماليات النقد الثقافي في المكون المسرحي

م.د. منتهى طارق حسين المهناوي
جامعة واسط . كلية الفنون الجميلة

المقدمة

دفع انفتاح الأدب في القرن العشرين على العلوم الإنسانية كافة، والفنون خاصة إلى ولادة اشكال جديدة من التعبير اللفظي، والبصري، التي حققت انتشارا واسعا بفضل وسائل الاتصال والتكنولوجيا، وقد نتج عن ذلك ظهور (النقد الثقافي)، على الرغم من أن بعض الباحثيين يرون أن النقد الأدبي، لم يستنفذ مبررات وجوده، لكن البعض الآخر يؤكد أن النقد الثقافي حقق انجازات هامة، بخاصة عندما تحرك على كشف حقيقة الأنساق المضمرة في كل اشكال الخطاب. تجدر الإشارة إلى أن بوادر ممارسة النقد الثقافي قد ظهرت بادئ الأمر في أوربا نهاية القرن الثامن عشر، لكنها لم تكتسب سمات مميزة ومحددة على المستويين المعرفي، والمنهجي، إلا مع بداية تسعينات القرن العشرين، وتحديدا عندما دعا الباحث الأمريكي (فنسنت ليتش) إلى نقد ثقافي ما بعد بنيوي يتيح لنظم النقد المعاصر و الخروج عن نفق الشكلانية التي حصرت الممارسات النقدية داخل إطار الأدب بالشكل الذي تفهمه المؤسسات الأكاديمية الرسمية.

لقد شكل مصطلح النقد الثقافي بوصفه فرع من فروع نقد النصوص العام، أهمية في قراءة وتحليل النص الأدبي بأجناسه المختلفة، عبر إضاءة المنعكسات التاريخية، والاجتماعية، التي تختبئ في طبقاته غير المعلنة، ومدى تفاعلها مع الثقافة الإنسانية بشكلها الشمولي، فضلا عن كشف حلقات الارتباط والاتصال، بين البنية اللفظية، والمواقف الاجتماعية، والفكرية، التي يتحقق من خلالها الموقف الثقافي للمادة النصية، ذلك أن النقد الثقافي هو احد أقطاب علوم اللغة، وحقول الألسنية التي تعنى بتحليل الأنساق غير المصرح بها، التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بتجلياته، وأنماطه، وصيغه كافة، بمعنى أنه يتحرك في تفصيل النص، وتشريحه، لاستدعاء ماهو غير رسمي، وغير مؤسساتي، وماهو كذلك، سواء بسواء، كذلك يندرج من ضمن مهامه كشف ماهو غير جمالي أيضا على خلاف توجهات النقد الأدبي، إذ يكون همه كشف ماهو مضمر خلف قناع (البلاغي – الجمالي)، انطلاقا من فكرة أنه طالما كانت هناك نظريات في الجماليات، تظهر الحاجة لابتكار نظريات في (القبحيات) ناهيك عن آليات الكشف عن حركة الأنساق، وفعلها المضاد للوعي، والحس النقدي، لذلك تكمن جمالية النقد الثقافي في النص ذاته الذي يتمدد ليصبح بحجم ثقافة ما بأكملها، وبمعطياتها وتفصيلاتها كافة، إذ لم يعد النص أدبيا جماليا حسب، بل حادثة ثقافية، لا يقرأ لذاته، ولجماليته الخاصة أو لأدبيته، بل يعامل بوصفه حامل انساق مضمرة، يصعب رؤيتها بواسطة القراءة السطحية، وفي هذا الإطار تكون مهمة القارئ/ الناقد، هي الوقوف على الأنساق

المضمرة المرتبطة بدلالات مجازية كلية، وليس على نصوص ذات دلالات صريحة، إذ يمكن عده نوع من أنواع الدراسات التي لا تهتم بدراسة النص ، ونقده فقط، بل يتم تناول النص على وفق ما يتكشف عبره من أنظمة ثقافية تتشكل داخل منظومة مؤسساتية، وأيضا من أجل فهم أمور لها علاقات متجذرة في النص. عبر عنوانها الموسوم (جماليات النقد الثقافي في المكون المسرحي)، وعلى وفق ما حددته في تفصيلات البحث المنهجية التي جاءت بالشكل الآتي:

أولا : الإطار المنهجي : الذي تضمن مشكلة البحث والحاجة إليه ، إذ شخصت الباحثة المشكلة التي ستعالج أسبابها، بهدف الوقوع على محددات فعل الاتصال بالمتن الغائر في طبقات النص التي تكون بحاجة إلى قوة النقد في إعادة تعزيز الجهاز الثقافي، والوعي المعرفي بغية وضع كل الجزئيات التي أغفلها النقد في بؤرة الرؤية، لتحقيق انتشار للمنظومات الفكرية عبر حقل التلقي الايجابي للمكون المسرحي،

ثانيا الأطار النظري: ويتضمن المباحث الآتية:

مشكلة البحث والحاجة إليه

لعبت ما بعد الحداثة دوراً مؤثرا و عميقا في التأثير على الثقافة العالمية لما لها من دوراً كبيراً في حركة التاريخ الإنساني بصورة عامة، فهي استطاعت ان تفكك الكثير من الثوابت و البنى لكثير من الشعوب التي كانت قد انغلقت على نفسها)) .فهذا سكوت ليتش يقرأ ما بعد الحداثة، بوصفها حدثا ثقافيا وتمتلك ثلاثة مواصفات عامة، فهي أولا إنتاج صيرورة التمايزات الثقافية، وهي ثانيا خلق لنظام جديد من الرموز المجتمعية المتصفة بالرؤيوية أكثر من اتصافها بالملموسية، وثالثا وهي ظاهرة تعكس تغيرات واضحة وجلية في التصنيف والتراتيب الاجتماعية . ((وبذلك كان لابد من الاهتمام بالوقوف بوجه التحديات الفكرية – الثقافية .التي يحملها هذا المشروع للإنسانية جمعاء بإعادة النظر والوقوف و التأمل بشأن المرجعيات.

فالنقد الثقافي هو نوع من الدراسات التي لا تهتم بدراسة النص ونقده فقط، بل صار يأخذ النص من حيث ما يتكشف من خلاله من أنظمة ثقافية تتشكل داخل منظومة مؤسساتية، وأيضا من أجل فهم أمور لها علاقة مع النص، لا تخص بنيته اللغوية أو الأسلوبية، وأصبح النص يُستخدم لاستكشاف أنماط معينة من الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية وأنساق التمثيل والتصوير، فهذا النوع من الدراسات يقف على عمليات إنتاج الأشكال الثقافية من قبل المؤسسات أو الأفراد وطريقة توزيعها واستهلاكها؛ أي الفعل الذي تُحدثه تلك الثقافة في نفس متقبلها أو الواقع تحت تأثيرها، الأمر الذي يحيلنا دائما إلى قضية المعرفة، كما يهدف مشروع النقد الموسوم بالثقافي إلى تحليل الشروط المتسببة في إنتاج مختلف أنماط مؤسسات السيطرة والتأثير داخل ثقافة معينة من خلال تحديد وظيفة كل من القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تُنتج كل أشكال الظواهر

الثقافية، وقد أخذ ممثلو النقد الثقافي على كواهلهم محاولة تعديل بنيات السلطة القائمة على تفضيل جنس بشري على آخر أو نمط فكري أو إيديولوجي على غيره مما حدا بالبعض إلى اعتبار هذا التوجه النقدي أحد الأنظمة النقدية المنافسة للأدب المقارن، فالنص هنا لم يعد نصا أدبيا جماليا فحسب .بل حادثة ثقافية لا يقرأ لذاته ولا لجماليته وإنما يعامل بوصفه حامل نسق او أنساق مضمرة، يصعب رؤيتها بالقراءة السطحية .وهنا تكمن مهمة الناقد، وهي الوقوف على أنساق مضمرة مرتبطة بدلالات مجازية كلية وليس على نصوص ذات دلالات صريحة))ما هي إلا دعوة على الانفتاح على النصوص والكتابات التي همشت قصد إدماجها في المتن الثقافي وبغية كسر الحدود القومية والعرفية وتحقيق خطاب عالمي إنساني ((وهذا ما دعى إليه دريدا في مناهضة التمركز حول الثقافة الغربية او التمركز حول العقل او المنطق .فهي التي تتحدى الاخر وتهمشه ولا تعترف به ، من هنا تحدث((فنسنت ليتش عن النقد الثقافي بوصفه نقدا يتجاوز البنيوية وما بعدها ويفيد من مناهج التحليل المختلفة كتأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية بالإضافة إلى أفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي)) .

اذا ما هو النقد الثقافي ؟ وكيف يكون الناقد الثقافي واعيا بقوة الثقافة، وكيف يمكن ان يبقى انتقادنا لتلك القوة على أكمل وجه ؟ والمدى الذي فيه يتغلغل المكون المسرحي ؟ .

أهمية البحث تكمن أهمية البحث في انه يحاول أن يقرأ المكون الثقافي تبعا لمغايرة النص الأدبي، ليصبح سياسيا وثقافيا واجتماعيا وأيديولوجيا، فهو نقد ثقافي تجاوز تعتيم النقد الأدبي، بأطروحة الخطاب ألما بعد حداثي .

أهداف البحث

1- الكشف عن حركة التأثير الفعلية، هي للنص الجمالي المؤسساتي أم للنصوص الأخرى لا تعترف بها المؤسسة رغم إنها هي المؤثرة فعلا .من هذا المجال المهمل تأتي وظيفة النقد الثقافي.
2- السعي إلى إعادة ترتيب الوعي والدراية الذاتية المجتمعية .
3- النقد الثقافي لا يدور حول الفن ولأدب فقط، بل حول الثقافة لان الثقافة نتائج وثمار.

حدود البحث الحد الموضوعي : كيفية تفعيل القراءة النقدية الثقافية في النص المسرحي .

الحد المكانـــــي : النصوص الأدبية.

الحد الزمانـــــي : نماذج مختارة .

تحديد المصطلحات / مصطلح النقد

الإطار النظري المبحث الأول مفهوم الثقافة.

المبحث الثاني:

1- المكون الثقافي اجتماعيا..
2- المكون الثقافي إيديولوجيا.

المبحث الثالث جماليات النقد الثقافي في المكون المسرحي .

ما اسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات

مصطلح النقد

صطلاحا في معجم المصطلحات الادبية المعاصرة تعرف على انها " كمدرسة ذوق عند الانطباعيين، او كنظرية للانتاج الادبي، عند (ماشري)، اي فنا وعلما. ومن الملائم ان يصبح النقد علما، او نظرية بالمعنى(الالتوسيري). و(النقد) عند (بارت)، يتوسط بين العلم والقراءة الذاتية المحضة. فالنقد يحتل مكانة وسيط، بين علم الادب والقراءة، وهو يعطي لغة لكلمة، التي يقرأها، ويعطي كلمة للغة الميثية، التي وضع فيها العمل ليعالجه العلم. وتعتبر (الوظيفة النقدية) عند (ج. ل. وري) عودة بالوعي،الى النظام الايديولوجي، الذي عليه ان يبقى بريئا، حتى يحقق عالميته. اما (جان ولهان)، فيرى في (النق) تاملات، يعلن استحقاق عمل ادبي، او عدم احقيته، في نيل الاعتبار والوجود او اللا وجود."[1] و النقد بوصفه " علما من العلوم الانسانية له نظريات واسسه- وبين النقد من حيث التطبيق. فمن الواضح ان هذه النظريات والاسس لا تتوحد مع النتاج الادبي بوصفه عملا فرديا، فهي لم توجد ولم تتم متجردة من الاعمال الادبية في مجموعها وملابستها، ولكنها نتيجة لعمليات عقلية تركيبية مبدؤها النظر الدقيق والتامل العميق للنتاج الادبي"[2] وفي المعجم الفلسفي يوضح الى انه "منذ السبعينات من القرن العشرين اصبح هناك تداخلا واضحا لبن النقد الادبي الذي يدرس بنى النص ومكوناته وبين دراسة المجتمعات البشرية وانظمتها، كل هذا جعل من مصطلح النظرية النقدي شائعا جدا في الاكاديميا لكنه مصطلح واسع يغطي مجالا واسعا من النظريات العلمية" [3]

مفهوم الثقافة اصطلاحا الثقافة هي" علم انماط الكودات، التي تحدد عينة سوسير- ثقافية معينة. ويعتبر مفهوم (الثقافة)، نسبيا وعالميا، اذا عنينا به ثقافة مجتمع لساني مستقل"[4].

---

[1] سعيد علوش: معجم المطلحات الادبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984، ص124.

[2] محمد غنيمي هلال: النقد ادبي الحديث، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1973، ص1.

[3] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، 2012، ص625.

[4] نفس المصدر: سعيد علوش، ص34.

ترد كلمة (الثقافة) ومشتقاتها في اللغة العربية على معان عدة منها: الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، والتهذيب، وتقويم المعوج من الأشياء، يقال: ثَقُفَ الرجل ثَقفاً وثقافة أي صار حاذقاً فطناً، وثَقِفْتَ العلم أو الصناعة في أوهى مدة إذا أسرعت أخذه، ويقال: ثَقَّف الصبي أي أدَّبه وهذَّبه، وثَقُفَ الرماح أي سوَّاها وقوَّم اعوجاجها[5].

لقد تنوعت واختلفت وتعددت تعريفات الثقافة بشكل اصبح من الغير الممكن حصرها في تعريف معين. ولكن الباحثة قد ركزت في بحثها على اتجاهين في تلك التعريفات للثقافة والتي كانت بأعتبارها مكونا اجتماعيا يعتمد القيم والمعتقدات المشتركة بين افراد المجتمع والعلاقات الاجتماعية التي تربط افراد ذلك المجتمع بعضهم بالبعض الاخر. في حين ان الثقافة هي مكون القيم والمعتقدات العقلية والرموز والدلالات الايديولوجية وغيرها من المعتقدات العقلية والفكرية التي تربط افراد المجتمع وتوجهاته. فهو" كل ما ابتدعه (خلَّقه) الإنسان: إنها عالم الإنسان، أو "الطبيعة الثانية". كما قام بعضهم بمحاذاة مفهوم الثقافة مع مقولة النشاط (أو الممارسة). وقد ميَّز م.س. كاغان في خصوص هذه المقولة بين :موضوع، وذات، ونتائج، وأساليب النشاط (أو الممارسة)"[6]

لا ينطبق مفهوم الثقفة الا على ماهو انساني وضمن تنوع انماط حياة الانسان ومعتقداته. لقد تطور مفهوم الثقافة الاجتماعية وذلك بسبب الموضوعات التي ركزت بشكل خاص في طروحاتها على الممارسات (الاقتصادية، الدينية، السياسية، الاجتماعية.. وغيرها) والتي تشترك بها مجموعة معينة . وارتباط هذه المجموعة بمجاميع اخرى من الافراد، هذه المجاميع تؤثر بشكل او باخر من خلال ثقافة معينة تكون هي المهيمنة والتي تحدد بشكل كبير خاصية ثقافة المجموعة عليها.

فالثقافة اذا هي " هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع"[7]. من هنا يكون للفرد الاتقلالية والتمايز من خلال اكتسابه لعناصر الثقافة يتعلمه من المجتمع باعتباره جزءا من تراث اجتماعي متراكم يتجسد ليشكل التقاليد المكتسبة والقابلة للتعلم والتطور التي تكون بدورها بعيدة كل البد عن الغرائز وكل ناهو فطري، هي نتيجة الابتكار والابداع الجماعي. ان الثقافة مفهوم معقد وذلك لاتساعها اعدادا كبيرة من السمات والملامح التي جعلت منها تتعقد نتيجة للتراكمات

---

[5] انظر : (اساس البلاغة) للزمخشري، ومختار الصحاح) للرازي، و(لسان العرب) لابن منظور.

[6] كاغان: *النشاط البشري*، موسكو، 1974.

[7] دنيس كوش:مفهوم الثقافة في الغلوم الاجتماعية، تر:منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2007، ص31.

الاجتماعية والتراثية لصور متوالية هذا خلق صعوبة كبيرة امام الباحثين لايجاد تعرف محدد للثقافة.

المبحث الثاني المكون الثقافي اجتماعيا

يعتبر هذا المكون اسلوب من اساليب السلوك المشتقة من مجالات النشاط البشري اليومي، متأثرا تأثيرا مباشرا بكل مايدور حوله من وقائع سواء كانت اقتصادية ، سياسية، دينية ، تاريخية ، نفسية وغيرها من الوقائع الساسيولوجيية . فمن خلال هذه السياقات المترابطة التي يمر بها الفرد والجماعات والتي بدورها تدخل في صميم المجتمع . لتشمل من هنا الثقافة النظرة المتضمنة لكافة ابعاد الواقع الاجتماعي. لقد "اثبتت الدراسات الثقافية دور مساءلة العلوم المنتمية الى الحقل الاجتماعي وعلوم الانسان، واستجوبت ممارسات النقد الادبي التقليدية وممارسات النظرية الجمالية"[8] لتكون بدورها قادرة على ان تضع الفرد في السياق الاوسع للمجتمع بالشكل الشمولي والذي ممكن ان يتسع كل الاتجاهات والزوايا التفكير السسيولوجي الذي يعتمد على جانبين مهمين جانب الخيال السسيولوجي وجانب الواقع السسيولوجي .

اذا يمكننا القول ان الثقافة الاجتماعية او كما نريد ان نسميها السسيولوجية هي المصدر الاساس الذي يستمد منه الفرد كافة الاساليب والافكار والسلوك الخاصة بتنظيم الحياة بكل اتجاهاتها الانفعالية والعاطفية.. وغيرها. والتي يشترك فيها افراد المجتمع عادة من خلال علاقاتهم وتواصلهم الحياتي اليومي. لذا الثقافة يمكن ان تكون ذلك المزيج المتنوع والمختلف لكل ما نفكر ونتشارك به ونمتلكه كأفراد مجتمع واحد، بكافة الخصائص الثقافية ومدلولاتها عبر التنشئة والسياقات الاجتماعية التي تدخل في تنمية افكار ابناء المجتمع الواحد. اذا نتوصل من ذلك ان الثقافة هي سلوك مكتسب من خلال اشكال وانماط السلوك المتبع ضمن بيئة مجتمع ما . من خلال تفاعل عوامل بيئية مكتسبة وفطرية ومتوارثة . لتنتج من خلالها نظاما من رموز يشترك بها جميع افراد المجتمع الواحد يتوارثونها جيلا بعد اخر بواسطة التثقيف الاجتماعي، الذي يعبر عن الحاجات الضرورية للفرد.فالثقافة هي" نظام دلالي يفضي حتما بالنظام الاجتماعي المعين الى حتمية التبادل الاتصالي بين افراده وحتمية اعادة انتاجه وحتمية معايشته وحتمية استكشافه"[9] والتي بدورها تساعده على التواصل مع المحيطين به من افراد وجماعات. ايضا ومن ناحية اخرى ان ثقافة الفرد منفردا بذاته هذه الثقافة المترسبة عند الفرد نتيجة نتاج جماعي مكتسب من الاخر والمحيطه الاجتماعي وهناك ثقافة ايضا متوارثة محصورة ضمن بيئة معينة هذه تكون امتدادا لمستويات عدة

[8] ميجان الرويلي و سعد البازعي: دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص73.

[9] نفس المصدر: ص 74.

من الاليات المكونة لثقافة الفرد الواحد والتي من خلالها يمكنه ان ينتج ويبدع ضمن مجال الفن والادب والموسيقى والطب والرياضيات وغيرها . وكذلك تنتج من خلالها سلوك الفرد واسلوبه في التعامل وايضا تنتج سلوكه في ارتداء ماينا سبه. اذا المكون الثقافي السسيولوجي يكون قد تكون وتالف واتسق مع عدد من الانساق المختلفة في طبيعتها مثل النسق الذهني المجرد والنسق المعنوي والنسق المادي لتندمج في وحدة واحدة تكون في نهاية الامر محصلة للنشاط البشري السسيولوجي ضمن مجتمع متكامل يكون بدوره ثقافة خاصة به يتميز وينفرد بها عن باقي الثقافات الاخرى.

المكون الثقافي ايديولوجيا

يهتم النقد الثقافي باكتشاف الانساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي الايديولوجي الذي تولد من خلال المنظور الفكري سياسيا واقتصاديا وطبقيا ، ضمن المجتمع نتيجة تراكمات ثقافية وتيارات فكرية مختلفة وما انبثق منها من فلسفات مادية وذرائعية و وجودية واسلامية. هذه الدراسات تتناول المواضيع ذات الاشكال الثقافية الذهنية والفكرية ضمن مختلف المجتمعات، سواء كانت بدائية او متمدنة من خلال الكشف عن العادات والتقاليد ضمن تصور وتفكير تلك الشعوب يعتمد مدى وعي الافراد بما يقدمونه من دعم نمط حياتهم على مستوى الوعي الثقافي لديهم"[10].اذا هذه الدراسات الثقافية تكشف عن الافكار التي ترتبط بعالم الخيال والفن من خلال التفكير الدلالي لما تنتجه هذه الشعوب من انساق ثقافية ، انها " تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والايديولوجيات، وما شاملها من المنتجات العقلية"[11] هذه الانساق هي افكار سواء كانت سياسية او فنية او علمية فهي لم تصنع نفسها ولكنها هي وليدة لثقافات نسقية مضمرة، لذا يكون تقييمنا وطرق تفكيرنا وفهمنا في تفسير النصوص هي نتيجة سياقات نسقية مضمرة للمؤسسة الثقافية التي تكونت لدينا بعيدا جدا عن ما هو جمالي وادبي وفني , اذا هذه الانساق تحكم الناقد في تعامله مع النصوص والخطابات ضمن حدود مجتمعه وذاته , فالنقد الثقافي هو نقد ايديولوجي نابع من المجتمع ومعبر عنه ضمن مجموعة من الاعراف والتقاليد لذلك المجتمع الذي شكل اسلوب وسياق الحياة في المجتمع الذي يختلف حتما عن مجتمع واخر. فالانتماء لتلك الايديولوجية لايمنع بالضرورة عدم احترام الايديوبوجيات الاخرى او الاساءة لها فلكل مجتمع سياستة وتفكيره

[10] مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، (223) المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 1997، ص51.

[11] مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، (223) المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 1997، ص29.

واعتقاده وهذا لايشكل او يخلق صراع مع المجتمعات الاخرى بل على العكس هي ثقافة الاختلاف التي تحفز الفرد على التقدم والتطور .

المبحث الرابع جماليات النقد الثقافي في المكون المسرحي

لعبت ما بعد الحداثة دوراً مؤثرا و عميقا في التأثير على الثقافة العالمية لما لها من دوراُ كبيراً في حركة التاريخ الإنساني بصورة عامة، فهي استطاعت ان تفكك الكثير من الثوابت و البنى لكثير من الشعوب التي كانت قد انغلقت على نفسها.وكما وصفها تايلور انها " ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاقيات، والقوانين، والأعراف، و القدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة، بوصفه عضوا في المجتمع"[1] فهذا (سكوت ليتش) يقرأ ما بعد الحداثة، بوصفها حدثا ثقافيا وتمتلك ثلاثة مواصفات عامة هي:

أولا: إنتاج صيرورة التمايزات الثقافية.

ثانيا: خلق لنظام جديد من الرموز المجتمعية المتصفة بالرؤيوية أكثر من اتصافها بالملموسية، ثالثا:هي ظاهرة تعكس تغيرات واضحة وجلية في التصنيف والتراتيب الاجتماعية.

فهي بواعث سيكولوجية وسياسية لتطال الحياة الفنية- المسرحية في بسط قراءة ثانية للثقافة عبر مداخل مختلفة ومتنوعة، هي بذلك عليها تجاوز الاهتمام المفرط بالجانب الاستاطيقي الذي يتمثل به النقد المسرحي منذ زمن بعيد والتوجه الى الانساق الفكرية المتمثلة بالاشكاليات الايديولوجية المضمرة داخل الخطاب المسرحي، هذا الشكل يمهد في قراءة النصوص المسرحية ويغنيها ويحيل النظر الى زوايا متعددة لم تكن قد اكتشفت من قبل. من هنا يجب ان تكون هناك صلة وثيقة بين النصوص والعلاقات المكانية والزمانية وتطورها في شبكة العلاقات الاجتماعية والسياسية والتاريخية المعقدة. وبذلك كان لابد من الاهتمام بالوقوف بوجه التحديات الفكرية – الثقافية .التي يحملها هذا المشروع للإنسانية جمعاء بإعادة النظر والوقوف و التأمل بشأن المرجعيات.

فالنقد الثقافي هو نوع من الدراسات التي لا تهتم بدراسة النص ونقده فقط، بل صار يأخذ النص من حيث ما يتكشف من خلاله من أنظمة ثقافية تتشكل داخل منظومة مؤسساتية. ((فهي نظام دلالي محدد بحدود نظامه، اذ تصبح الثقافة مقصورة على هذا النظام الذي تفرزه حالما يحدها ويؤطرها فيمنحها تبعا لذلك خصوصيتها))[12]، هذه الدراسات الثقافية للنصوص الادبية تدخل ضمن استكشافات لانماط معينة من الانظمة السردية وانساق التمثيل والاشكالات الايديولوجية لتتوسع وتشمل انواع ادبية جديدة مثل الجنس والجنوسة والدلالة والامتاع. التي تأثرت وبشكل كبير بنظرية

[12] دليل الناقد الادبي: مصدر سابق، ص74

غرامشي بتوظيفها لمفهوم المهيمنة اذ تعتبر الدراسات الثقافية عبارة عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية وفي نفس الوقت اداة للمهيمنة، التي لها علاقة في فهم النص بامور اخرى مجاورة، لا تخص بنيته اللغوية أو الأسلوبية فحسب، وأصبح النص يستخدم لاستكشاف انماط معينة من الانظمة السردية والاشكاليات الايديولوجية وانساق التمثيل والتصوير، فهذا النوع من الدراسات يقف على عمليات إنتاج الاشكال الثقافية من قبل المؤسسات او الافراد وطريقة توزيعها واستهلاكها، اي الفعل الذي تحدثه تلك الثقافة في نفس متقبلها او الواقع تحت تأثيرها، الامر الذي يحيلنا دائما إلى قضية المعرفة، كما يهدف مشروع النقد الموسوم بالثقافي الى تحليل الشروط المتسببة في إنتاج مختلف انماط مؤسسات السيطرة والتأثير داخل ثقافة معينة من خلال تحديد وظيفة كل من القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تنتج كل اشكال الظواهر الثقافية فهو صيغة من صيغ "الممارسات الدالة" ثقافيا. ويتمثل أحد الاهتمامات الرئيسة لهذا المشروع التحليلي في تحديد وظيفية كل من القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك بنيات السلطة التي تنتج كل أشكال الظواهر الثقافية، والتي تمنح هذه الظواهر "معانيها" الاجتماعية و"حقيقتها"، وقد اخذ ممثلو النقد الثقافي على كواهلهم محاولة تعديل بنيات السلطة القائمة على تفضيل جنس بشري على اخر او نمط فكري او ايديولوجي على غيره مما حدا بالبعض الى اعتبار هذا التوجه النقدي احد الانظمة النقدية المنافسة للادب المقارن، في حين بلور (ليتش فنسنت) V.teitch النقد الثقافي على اعتبار انه لا يتعلق بالتصنيف المؤسساتي للنص الجمالي بل هو يذهب الى ماهو غير جمالي (خطاب ظاهرة) وهو يأخذ من مناهج التحليل المعرفية في تحليل النصوص مثل دراسة الخلفية التاريخية والتحليل المؤسساتي، ويؤكد ليتش على ان النقد الثقافي يركز على انظمة الخطاب كما هو عند بارت و دريدا و فكو وخاصة مقولة دريدا (لا شيء خارج النص) في حين وضع (عبد الله الغذامي) النقد الثقافي بانه فرع من فروع نقد النصوص العام فهو بذلك احد علوم اللغة وحقول الألسنية، يعنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل انماطه وصيغه التي توضح كل دور من ادوار المجتمع بحسب المستهلك الثقافي الجمعي الذي يعنى بكشف الا جمالي وما هو مخبؤ تحت اقنعة النص. " هذه الدراسات التي كسرت مركزية (النص) ولم تعد تنظر اليه بما انه نص، ولا الى الاثر الاجتماعي الذي قد يظن انه من انتاج النص"[13] والمقصود هنا لا جمالي هو الكشف عن الانساق وفعلها المضاد للوعي والحس النقدي[14]، والتي اشار اليها (جاكوبسن) في نظريته (التواصلية) المرتكزة على ست عناصر اساسية: المرسل، المرسل اليه،

[13] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربي، ط3، اللملكة المغربية، لبنان- بيروت،ط3، 2005، ص17.

[14] زيودين ساردار و بورين فان لون: الدراسات الثقافية و مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر:وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص8.

الرسالة، السياق، الشفرة، الاتصال. التي تقابلها ست وظائف: النفعية، التعبيرية، المرجعية، المعجمية، التنبيهية، الشاعرية (الجمالية). ليشاركه الغذامي باضافة وظيفة سادسة هي النسقية، الى جانب عنصر جديد هو عنصر النسق موضحا في المخطط التالي:

الشفرة_السياق_الرسالة المرسل -المرسل اليه - أداة الاتصال - العنصر النسقي

فالنص هنا لم يعد نصا أدبيا جماليا فحسب .بل حادثة ثقافية لا يقرأ لذاته ولا لجماليته وإنما يعامل بوصفه حامل نسق او انساق مضمرة، يصعب رؤيتها بالقراءة السطحية، وهنا تكمن مهمة الناقد، في الوقوف على انساق مضمرة مرتبطة بدلالات مجازية كلية وليس على نصوص ذات دلالات صريحة. و" عبر العنصر النسقي وما يفرزه من وظيفة نسقية، وعبر توسيع مفهوم المجاز ليكون مفهوما كليا لا يعتمد على ثنائية الحقيقة/ المجاز، ولا يقف عند حدود اللفظة والجملة، بل يتسع ليشمل الابعاد النسقية في الخطاب وفي افعال الاستقبال"[15] فهي الا دعوة على الانفتاح على النصوص والكتابات التي همشت قصد إدماجها في المتن الثقافي وبغية كسر الحدود القومية والعرفية وتحقيق خطاب عالمي إنساني. وهذا ما دعى إليه دريدا في مناهضة التمركز حول الثقافة الغربية او التمركز حول العقل او المنطق، فهي التي تتحدى الأخر وتهمشه ولا تعترف به [16] ، الدراسات الثقافية لها الدور الأبرز في العلوم المنتمية الى الحقول الإنسانية والاجتماعية على حد سواء لقد ((استجوبت ممارسات النقد الادبي التقليدية وممارسات النظرية الجمالية، ولعبت دورا حاسما،وهذا ما يجعلها إفرازا للنظرية البنيوية وما بعدها "[17] ، من هنا تحدث فنسنت ليتش عن النقد الثقافي بوصفه نقدا يتجاوز البنيوية وما بعدها ويفيد من مناهج التحليل المختلفة كتأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية بالإضافة إلى أفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي ، فهو مؤسسة بكافة اشكالها التقليدية والأكاديمية ، والحقب الزمانية المعينة، فلكل شيء من هذه الاشكال شفرة خاصة بها. لذا تعذر مفهوم الثقافة بحصره في مجال معين لعموميتها ضمن المجتمع الواحد ، لنكون عاجزين في حصر الثقافة ضمن حدود معينة او نظام معين،

النقد القافي هو صورة جديدة في ربط النص بمحيطه الثقافي، فهو يمكن ان يتغير بتغير الناقد وثقافته وتوجهاته، من هنا كان الاخذ بعينة معينة ضمن فئات متعددة ودراستها, كموضوعة

---

[15] عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، بالدار البيضاء وبيروت، ط 3، 2005. ص69.

[16] ينظر: عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، بالدار البيضاء وبيروت، ط 3، 2001.

[17] دليل الناقد الادبي: مصدر سابق، ص73.

الجنوسة او على الدراسات النسائية وغيرها من الدراسات التي تخصص مجتمعات وفئات كبيرة. لذا الدراسات الثقافية هي الخطاب كما اثبته (دريدا) ونوهنا عنه سابقا. وكما اكده (ادوارد سعيد) في كتاباته عن الشرق اذا حدد ان الشرق مؤسسة ثقافية بحد ذاتها. فهي تعد المحيط الاشمل لعالم الفن والأفكار والخيال التي ينتمي لها المجتمع، النقد الثقافي مفتوح على التأويل وعلى مناهج السيميائيات وتحليل الخطاب ومختلف العلوم الإنسانية المحيطة بالآداب، فو يسعى الى تطوير المؤسسة الاجتماعية والثقافية ذاتها، لتكون المنهجية النقدية هي جزء من المؤسسة الثقافية ((ان المنهجية لدى الناقد تحقق دائما غايتها وفعاليتها، وتجعل النص يفرز دائما ما تبحث المنهجية عنه (العالم، النص، الناقد)[18]. فهو منظومة من السيميولوجيات ضمن الأشكال الرمزية التي يتصورها الوعي الجمعي، ويتجسد هذا ضمن مفهوم الخطاب السردي، لذا فان الدراسات الثقافية هي انعكاس لمجتمعات وافراد. يدرس فيها الناقد الثقافي النص وجمالياته، وما يتعلق بذلك الجمال من مقاييس اومؤثرات او متغيرات، هي محاولة للبحث عن الانساق الثقافية في النص، " التي يمكن من خلالها كشف الذهنية الثقافية المحركة لكثير من الاشياء تفكيرنا ذائقتنان، انها تحافظ على سيرورتها ودوام تاثيرها عبر ضغط المؤسسة التي تتماشى مع الانساق وطموحها " [19] فليس للغة الهيمة على النص فقط ولكن هناك تراكم معرفي متجسد داخل النص يشمل الحضارة والتاريخ، فنشؤ هذا الترابط بين النقد الثقافي والمجتمع والحضارة هو ما يمكن ان يصنع اعمالا ادبية عظيمة.

تحليل مسرحية واقع خرافي / للكاتب عبد النبي الزيدي [20]

يحمل النص من خلال عنوانه (واقع خرافي) على دلالات ثقافية رمزية، تمثلت ضمن حوارية اسطورية وحوارية واقية سردية انتشلها الكاتب من صميم الواقع المعاش. مستعيرها من خلال النمط النصوصي الديناميكي والذي يقترب احيانا الى الشعرية. متسلل بذلك الاشكال التعبيرية مثل الاستعارة والتناص والاحاطة ايضا بالظلال الاسطورية، من خلال محاولات رمزية محول بذلك دلالة (واقع خرافي) ضمن حقل علامي متباين بين الواقع وبين الخرافة واسطرته ضمن نسق تنبؤي لواقع مؤسطر خيالي .

ان الكاتب (الزيدي) لم يختر عنوانه اعتباطيا بل كان اختياره مقصودا عبر مرجع مؤثر في الذات وهي واحدة من صور الذات الثقافية، ليكون عبر هذا تعدد في الانساق المتجانسة التي استقها

[18] دليل الناقد الادبي: مصدر سابق، ص77.

[19] عبد الرحمن عبد الله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق اموذجا، ط1، وزارة الثقافة" اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية 2013"، العراق، 2013، ص 39.

[20] عبد النبي الزيدي: مسرحية واقع خرافي، مخطوط غير منشور، 2014.

الكاتب من عروق ثقافته. وبذلك تكون قد تشكلت ضمن سياق نصي متكامل ضمن بنية درامية لا تعتمد على كونه كاتبا ادبيا وحسب ولكن بكونه كاتبا ثقافيا .

ان التعامل مع مفردة الموت التي كانت هي المحور الاساسي للنص بعتبارها مدلولا انطلوجيا ثقافيا مزدوجا في ان واحد. والتي يستهل بها الكاتب مسرحيته ضمن حوارية تركيبية دلالالية ورمزية واقعية اسطورية كما في الحوار الاتي:

صاحب القبر: جأتك ايها الميت برجاء خاص.

الميت: ماذا يمكن ان افعل لك ايها الحي والهارب من الحرب؟ لاتقل لي اريد الاختباء معك في القبر. كما ترى بالكاد يستوعب جثتي.

نلاحظ ان علامات الاسناد تدور في فضاء تشخيصي تجسيدي ولكنها مختارة بدقة لتعبر عن الدلالة العدمية، فالميت لا يمكن ان يحقق املا للاحياء ، ليكون بذلك الكاتب قد رحل صورا جديدة متخيلة من الواقع الى الاسطورة ليمنحها فائض دلالي ، ولكن على نحو لا يطمس معالم الصورة الواقعية بل يحاورها عبر اطارها التصويري الذي دعامته العلاقة بين الواقعي والمتخيل، ضمن حركة نفسية تقود عملية صناعة الصورة، لتمنحها طبيعتها بمعنى ان مايحدث عبر الواقع ينذر بمصيره القادم عبر المتخيل الاسطوري . ولنتأمل هذا المقطع الحواري:

الميت: هم وضعوني في هذه الحفرة ... ما شأني؟

صاحب القبر: وهذا هو الاحتلال.

الميت: الاحتلال ايضا ؟!

صاحب القبر: اذا لم تخرج... انا مضطر لاستخدام العنف معك.

الميت: وانا سأدافع عن قبري حتى اخر لحظة من جثتي.

حين نتأمل ملامح هذا الحوار نجد انه تشكل وفق ثقافة مجتمع، فقد نقل لنا الكاتب المستشرف من القادم والحاضر عبر بعد تشفيري رمزي تأويلي فالحفرة، والعنف، والاحتلال، مفردات تداولية يومية ضمن مجتمعنا اراد الكاتب ان يؤكدها النص عبر قصدية واضحة ضمن حوارية متصاعدة,, لنتامل كذلك هذا المقطع الذي يبين تصاعد في الحدث الدرامي:

الميت: دعني اعيش في وطني.

صاحب القبر: وطنك ؟ ماذا تعني؟

الميت: القبر .. احلى وطن ! كل شيء ابيض هذا رغم السواد.

صاحب القبر: (يصرخ به) انا اتحدث مع ميت لايفهم لغة الاحياء... سأموت ايها الرجل عن قريب، واريد ان ادفن في هذا القبر الذي اشتريت ارضه بأموالي. انت متجاوز على ملكين لا يصح ان ينام الموتى في قبر حواسم !

يشير هذا الحوار ضمن منضومة ثقافية اجتماعية متفجرة ضمن صراع بين الالفة والعصيان كرد فعل على التمرد والفوضى ضمن مفردة (حواسم) هذه المفردة التداولية جاءت هنا ضمن سياق النص ونتيجة انثيالات ثقافية مجتمعية متاتية نتيجة حروب مرت عبر سنين عدة . هذه المفردة استخدمها الكاتب بمدلول ضمني مجازي وايحائي ضمن رسالة اراد الكاتب توضيحها برسالة تصور مايحدث ضمن مجتمع كامل داخل سلسلة من الدلالات. وضمن صورة انتقالية ملهبة دلاليا لتصل ذروتها الدرامية التي يتعالى فيها الصراع بين الواقع والخرافة (المتخيل) لنلمح هذا جليا في تشخيصات ارادها الكاتب ليدلل بها ضمن علامات كنائية عن الموت العاصف الذي يؤطر الحياة اليومية عبر قراءة لثقافة البعد الهمجي لما يحدث في المجتمع. ضمن توالد انساق ثقافية طارئة اقتحمت البنية الاجتماعية باطر واشكال مختلفة من عنف وحرب وارهاب وتفجيرات غير منتهية تصب في صلب النسق الثقافي للبنية الاجتماعية. معالجة ارد بها الكاتب الخروج عن المألوف ضمن واقع خرافي

المصادر

1- ميجان الرويلي و سعد اليازعي: دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، ط2،الدار البيضاء،2000،ص 75.
2- زيودين ساردار و بورين فان لون: الدراسات الثقافية و مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر:وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص: 8،
3- ينظر: عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، بالدار البيضاء وبيروت، ط/ 2، 2001.
4- ميجان الرويلي و سعد اليازعي: دليل الناقد، مصدرسابق، ص73.
5- نفس المصدر، ص77.
6- مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، 2012.
7- عبد الرحمن عبد الله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق اموذجا، ط1، وزارة الثقافة" اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية 2013"، العراق، 2013.
8- عبد النبي الزيدي: مسرحية واقع خرافي، مخطوط غير منشور، 2014.